

تطبيق «مقياس أينكل» في عملية تنصير المسلمين

ديفيد. أ. فريزر

obeikandi.com

إن المسألة الأساسية التي تواجه عملية تنصير المسلمين هي كيف يستطيع المنصرون بركة ووضوح إقناع المسلمين بوجود الإيمان بيسوع المسيح رباً والإخلاص له. وإنى أفترض ما يلي:

١- فيما عدا ما يضمنه الإيمان الواعي بالمسيح رباً (دون التقرير المسبق للشكل المثالي لزمن الإيمان) فإن الكتاب المقدس لا يعطى أى تأكيد على الخلاص أو على حياة أبدية.

٢- بوصفنا أدوات اختارها الرب لهداية الناس وإرشادهم فإننا نستطيع أن نلعب دوراً هاماً باعتبارنا دعاة للرسالة النصرانية وللمسيح.

٣- إن إدراكنا لطبيعة العوامل التي تشتمل عليها المهمة يؤثر تأثيراً كبيراً على طرق اتصالنا بالناس ويفرض علينا واجب التخطيط لعملنا.

يعالج هذا البحث عملية اتخاذ القرارات للعمل من أجل المسيح كما يعالج كذلك العناصر المختلفة التي تشكل الأساس الذي تقوم عليه الالتزامات الثابتة.

القرارات المترابطة منطقياً

يتخذ الناس أثناء حياتهم العديد من القرارات المختلفة، ويتم اتخاذ القرارات الخاصة بالتغييرات الرئيسية في أنماط الحياة كالزواج والوظيفة والانتماء الدينى من قبل العائلة فقط أو الجماعة أو العشيرة في العديد من المجتمعات، وبعد إجراء مداورات عديدة، ويعتبر قرار التحول من دين سابق إلى النصرانية والإيمان بيسوع المسيح من مثل هذه القرارات الرئيسية، ويؤدى اتخاذه عادة إلى قرارات فرعية عديدة، ويلزم صاحبه بدور علنى ضمن المجموع قد يختلف عليه الناس من حوله وقد يؤدى ذلك الموقف فيما بعد إلى مكافأته أو معاقبته.

إن الخوض في الطرق التي يتوصل بها أشخاص أو مجموعات إلى مثل هذه القناعات أو مثل هذا الالتزام شبيه بالقيام بمحاولة اكتشاف مكان مجهول، ماذا نعرف عن الشعوب والعائلات والأفراد الذين ينتقلون من حالة الجهل بيسوع المسيح

أو سوء فهمه إلى حالة الإيمان به ربياً؟ وهل يمكننا إعداد نموذج للمراحل والخطوات التي يمر بها الناس عادة عندما يبدأون بالتنبؤ على قوة الرب والاستجابة لدعوته الكريمة؟ هل تختلف عملية اتخاذ القرارات لدى الجماعات الأرواحية المتمسكة بإسلام «العامّة» (أو الإسلام الشعبي) عن الجماعات السلفية «المتعصبة»؟ كيف نربط بين مفهومنا «للتحول» المتأثر بآراء ونظريات علم النفس وعلم الأجناس البشرية وعلم الاجتماع وبين مفهوم التحول الوارد ذكره في الكتاب المقدس؟.

لقد أعطى العلم اهتماماً كبيراً لعملية التحول واتخاذ القرار، فنظريات الاتصال والأبحاث الخاصة بالتسويق يمكن تطبيقها بنجاح لأنها تركز على احتياجات الإداريين والسياسيين ومسؤولي العلاقات العامة الذين يساعدونهم على التأثير في آراء أو مشاعر الناس، ومن المؤسف أن جميع الدراسات في هذا المجال تركز فقط على الموضوعات والبيئات الثقافية الغربية، كما أن معظم الدراسات في مجال التحول الديني تعالج الآثار النفسية وتهتم بصورة خاصة بتأثير التحول على سوية الشخصية.

أما الكنيسة فقد أغفلت مثل هذه الأبحاث تماماً نتيجة لاعتقاد خاطئ بأنها ظاهرة دنيوية لا يجب اتباعها في هذا المجال المقدس، إذ ترى أن الاهتمام بالدوافع والعوامل التي تزيد فرص التجاوب تجعل عملية إبلاغ الدعوة مثل الأعمال التي يقوم بها مروجو البضاعة في شارع مادسون في نيويورك، هذه النظرة تدل على وجود توتر حقيقى ولذلك يجب ألا نكون سذجاً أو قنوعين فيما يتعلق باستخدام الوسائل التقنية المتزايدة للحصول على نتائج جيدة فيما نسعى إليه، كما يجب ألا نكون فريسة للاتجاه الخاطئ الذي يضع مقدرة الروح القدس في مواجهة مع الوسائل التي يستطيع ويحبذ استخدامه، ولعل كلمات جون أسكوت الحكيمة والخاصة بوضع آخر تساعدنا على إيجاد التوازن المطلوب، يكتب جون أسكوت:

يقول بعض الناس بكل إيمان أن الروح القدس ذاته هو الحل الكامل والمناسب لمشاكل الاتصال وبخاصة عندما يكون موجوداً ونشطاً حينئذ تتلاشى كافة المشاكل، فماذا بحق الرب تعنى مثل هذه العبارة؟ هل يعنى ذلك أننا أحرار في أن نكون غامضين ومرتبكين ولا علاقة لنا بمشاكل الاتصال كما هو الحال الآن تاركين الأمر للروح القدس بتوضيح كل شيء لنا إن استخدامنا للروح القدس لتعليل كسلنا

وخمولنا أقرب إلى الكفر منه إلى التقوى. وبالطبع فإنه لا فائدة من تقديم أية إيضاحات فى غياب الروح القدس، ولكن ذلك لا يعنى بأن أعمالنا لا فائدة منها حتى فى وجوده، فالروح القدس يختار العمل من خلال أساليبنا»^(١).

ماذا يجب أن نعرف عن عملية اتخاذ القرارات؟

إننا ما زلنا فى بداية طريقنا لفهم وإدراك الوسائل التى بواسطتها يؤمن الناس بالمسيح، وسيكون لإدراكنا هذا الأثر الفعال فى كيفية قيامنا بعملية التنصير، إن البساطة التى تتسم بها نظرية اتخاذ القرار من قبل مجموعة من الأفراد والالتزامات المشتركة المتبادلة التى تحدث ضمن الحركات الجماعية تشير إلى تحولات رئيسية فى استراتيجية التنصير.

لقد أجرينا دراسات، وأعدت نماذج عديدة بهدف تفسير وتنظيم الأبحاث الخاصة بتحويل الجماعات النصرانية^(٢) أو شبه النصرانية، وأخذنا بعين الاعتبار أنها قد طورت فى بيئات غير إسلامية يتضح لنا الأمور التالية تبدو ذات أهمية بالغة فى فهم الإطار الذى يتحرك خلاله الأفراد أو الجماعات للإيمان بالمسيح والاستجابة للدعوة النصرانية:

(أ) عوامل الإعداد والتهيئة.

(ب) محيط الالتزام.

(ج) سرعة التأثير.

(د) خطوات اتخاذ القرار.

(أ) عوامل الإعداد والتهيئة

تشير الدلائل إلى أن الناس أفراداً وجماعات يترددون عادة فى اتخاذ قرارات

(1) Stott 1975: 127.

(2) Toch 1965. Lofland 1977, Tippct 1977, Gerlach and Hinec 1970, Beckford 1975, Carrier 1965.

يقصد بتحويل النصرانى جعله يتبع المذهب البروتستانتى حيث إن البروتستانت يقومون بالدعوة لمذهبهم ضمن الجماعات النصرانية المختلفة أيضاً على أساس أنه المذهب النصرانى الصحيح وأن باعتناقة بولد المرء من جديد (الترجم).

جديدة أو تقديم التزامات جديدة، وليس سبب هذا حمول نفسى فقط بل إنه نتيجة لطبيعة ووضع المعتقدات الدينية والمجتمعات، إن معظم المعتقدات الدينية تقوم على «اكتفاء ذاتى» لأنظمة من الفرضيات، ولكن يبدو أن الناس يفضلون تحت معظم الظروف التمسك بمعتقداتهم القديمة دون أى تقييد، ويتجاهلون الأفكار المغايرة مهما اتسمت بالحجج القوية والمنطقية، ولذلك تجذب الناس بصفة عامة يحاولون تفادى المواجهات والعلاقات الجديدة أو الدخول فى تجارب أو الاطلاع على معلومات قد تقودهم إلى الإيمان بدين جديد، ولا يشذ عن هذه القاعدة سوى القليل من الناس الجريئين أو الهامشيين، والمسلمون مثلهم مثل معظم الناس يتسمون بالحيطه والحذر تجاه ادعاءات دينية مخالفة لمعتقداتهم وتقاليدهم، كما أن العقوبات الاجتماعية التى يتعرض لها الأشخاص الذين يبذلون ولاءهم تعزز هذا التحفظ.

ولكى يكون هنالك تحول فلا بد من وجود أزمات معينة ومشاكل وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التى اعتادوها، وقد تأتى هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية مثل التفرقة العنصرية أو الحساسية بسبب تسامح المجتمع تجاه النفاق، أو الوضع الاجتماعى المتدنى، وفى غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هنالك تحولات كبيرة إلى النصرانية، وتوضح الدراسة التى قام بها إيفرى ويليس عن أندونيسيا أهمية فهم عوامل الخلفية الاجتماعية الثقافية لتفسير أسباب تحول كثير من مسلمى هذا البلد إلى النصرانية بين ١٩٦٥-١٩٧١م.

(ب) محيط الالتزام

١- نقاط الخيار:

ما مدى وجود فرص ثقافية للمسلمين لتغيير التزامهم الدينى؟ رغم وجود بعض الاختلافات الهامة، فالمجتمعات الإسلامية بصفة عامة تفتح إلى كسب الحريات، والخيارات المسموح بها على المستوى الدينى تنحصر فى مجال ضيق لا يتعدى الاختلافات المتعارف عليها بالنسبة للعبادة والإيمان، أما المفهوم الأوروبى الغربى الذى يعتبر الإيمان والعبادة مسائل شخصية فلا مكان له بين الأطر الثقافية الإسلامية.

٢- المواقف الثقافية الاجتماعية:

من شأن المواقف الثقافية الاجتماعية أن تشجع على أو تعيق قرار الدخول في النصرانية، ولكن هل يحق لنا أن نتوقع من الناس أن ينجذبوا نحو كنيسة ما أو يلتزموا بدين جديد على الرغم من وجود عقوبات صارمة لمن يدخلون في مثل هذا الالتزام؟ ويمكن تصور سلسلة متصلة من العقوبات الثقافية:

مطلوب منه	مبشر بقوة	غير مهتم	غير مبشر إطلاقاً	غير مفترض
أن يكون نصرانياً	بالانضمام للنصرانية	بالانضمام للنصرانية	فيه أن يكون نصرانياً	

فمن الناحية الإيجابية يطلب من كل فرد أن يكون نصرانياً، وهذا ما أفرزته الكاثوليكية في أوجها في فترة العصور الوسطى، ومن المعلوم أن هذه النظرة تبرز مشكلة النصارى «الإسميين»^(١) أو «العدديين»، أما في الناحية السلبية حيث لا تشجع العقوبات الثقافية الاجتماعية الدخول في النصرانية فيمكننا أن نضع معظم البيئات الإسلامية، ومن مؤشرات مثل هذه البيئة السلبية أن الدعوة إلى المسيح لا تجد استجابة إلا من الأشخاص الهامشين أو المنحرفين الذين ينتمون إلى القطاعات الفقيرة نسبياً في المجتمع الإسلامي، وفي الأماكن التي يحدث فيها هذا تصيح النصرانية ديناً هداماً ومنوذاً اجتماعياً كما تفشل في التغلغل بين أفراد غالبية المجتمع، والمسلم «العادي» يجد تأكيداً لا اعتقاده أن النصرانية جسم غريب ينبغي مقاومته أما المسلم الذي يتحول إلى النصرانية فيشعر بالحرج وبالإهانة وبفقدان الدعم والانتماء العائلي وبالنبذ الاجتماعي إذ يفقد التفاعل الحيوى مع مجتمعه ويصبح عالة على المجتمع النصراني المدعوم من الخارج سواء أكان ذلك في مجال العمل أم الزواج ومن ثم يفصل تدريجياً عن المجتمع المسلم.

أما المؤشر الثانى فهو أن واضعى استراتيجيات التنصير سوف يقومون بالبحث عن التركيز على المناطق التي تكون أوضاع المسلمين فيها مشجعة على التحول إلى النصرانية، والتي يقلل فيها الترابط الجماعى وحدة العقوبة الاجتماعية، فالمهاجرون

(١) يقصد بهذا المتين إسمياً إلى النصرانية والذين لا يلتزمون بما يفرضه عليهم اتمائهم الدينى (المترجم).

الأثراك في ألمانيا الغربية أو المجتمعات التي تمر بمراحل تحول حضارى وثقافى واسع النطاق يمكن أن تعتبر مواقع استراتيجية للتنصير.

٣- معالم التقوى والولاء:

تنضح معالم ومظاهر التقوى بين المسلمين فى أساليب وأمزجة مختلفة يمكن توضيحها بالرجوع إلى ما كتبه جيرتز عام ١٩٦٨م، يرى جيرتز أن التقوى بين المسلمين المغاربة تتسم بالفعالية والشعبية والحماسة وتمركز فى رجال الدين (الذين يطلق عليهم مرابطون) والذين يوزعون قوتهم المعنوية وبركاتهم على أتباعهم، أما التقوى لدى المسلم الأندونيسى فتجنىح إلى الانغماس فى الأمور الروحية والغيبية والجمالية، فهى صورة للإسلام الذى ينزع إلى التصوف وتشبه إلى حد بعيد الأرواحية الهندوسية، فالتنصير فى بلاد المغرب ربما يستوجب وجود قيادة أكثر فعالية ونشاطاً على نمط القيادة المؤثرة الساحرة، أما الأنماط النصرانية فى أندونيسيا فتستطيع أن تركز على التقوى الفلسفية التصوفية التى تسعى إلى الاتصال مباشرة بالرب، ولكن كل هذا لا يعدو أن يكون مجرد تكنهات إذ أن الأمر الذى ينبغى علينا معرفته هو نظرة الناس إلى الدين وما يحققه لهم وكذلك أشكال التقوى التى يمارسونها بغية المشاركة فى الحياة الروحية «المثالية» التى يفرضها نظامهم الدينى، إن إيمان الفرد أو المجموعة بالمسيح سيصاغ بصورة جزئية بنوع وأسلوب التقوى الدينية التى اعتادوا عليها.

(ج) سرعة أو سهولة التأثير

١- أثر عوامل الإعداد والتهيئة:

من أجل استغلال حالة موضوعية فى سبيل الالتزام والإيمان بالمسيح يجب أن تحدث هذه الحالة تأثيراً محدداً فى مجموعه ما. ويجب أن تشعر المجموعة بتأثيرها بصورة عاطفية قوية، كما يجب أن يؤمن الناس بأنه يمكن اتخاذ إجراءات لمواجهةها والتغلب عليها، وهذا المفهوم يناقش عادة تحت عنوان «قابلية الاستجابة» ويعنى كذلك أنه يوجد أفراد ومجموعات من الأفراد مثل كورنيليوس (أعمال الرسل: ١٠-١١) يبحثون عن حل لمشكلة ما توفره العقيدة النصرانية. وعندما يواجه هؤلاء الناس لديهم ما يطلق عليه وليم جميس «إرادة للإيمان» وما لم يصبح الناس

غير راضين عن المساعدة والمعانى التى يوفرها لهم التزامهم الحالى فإنه لا يكون لديهم عادة أى حافز للتفكير فى خيار آخر. ولا غرابة فى أن تحول مجموعات كبيرة إلى النصرانية تم تحت تأثير ظروف تحولات اجتماعية وثقافية رئيسية حيث كان المتحولون فى أكثر الأحوال من تلك الطبقات التى شعرت أنها محرومة بشكل كبير. والاستراتيجيات الفعالة التى تسعى لإحداث قرارات هامة يلزمها البحث عن تلك الأجزاء ضمن المجتمعات الإسلامية التى يكون مستوى السخط فيها قد بلغ ذروته، أى بين الطبقات الاجتماعية، والمجموعات العرقية. . إلخ.

٢- المنصرين وطبيعة التنصير:

إن قابلية البشر للتأثر بشيء ما هى حالة مستترة أو غير مدركة ولهذا قد لا يشعر الناس بأحاسيسهم العميقة أو احتياجاتهم الشديدة حتى يواجهوا دعوة ما تشعرهم بهذه الأمور بشكل واضح ومن ثم يقتنعون برغبة شديدة فى البديل المطروح عليهم، والدعوات لا تولد عادة الحاجة التى تناسب الحل المطروح ولكنها تبرزها إلى الوجود وتقنع صاحب الحاجة بأن الطريق الجديد يلائم الحاجة ملائمة دائمة تامة، ولهذا فإن محاولة إيصال الرسالة النصرانية التى لا تتكيف للتعامل مع هذه الأحاسيس ستكون غير ملائمة وشاذة، بنفس الطريقة يجب أن «تکسب» الدعوة حق إنصات الناس إليها، والدراسات التى تحاول اكتشاف الشخص الذى كان يوصى باعتناق النصرانية تشير إلى أنماط واضحة للتأثير الاجتماعى، ففى عهد الكنيسة الأولى كان رب الأسرة يستطيع أن يحمل أفراد أسرته على التنصير بينما قد يظل قرار الزوجة قراراً فردياً لا يؤثر على بقية أفراد الأسرة، والناس جميعاً لهم أحكام مسبقة فيما يتعلق بمن يحبون ولمن يصغون، ولنا أن نتساءل ما إذا كان المنصر قد اتخذ دوراً داخل المجموعة البشرية يتيح له فرصة الاحتكاك والمواجهة التى تنشط وتحرك كالأحاسيس الكامنة للإيمان، وتجدر الإشارة هنا إلى المنصرين الباكستانيين الذين يتبعون الأساليب الفعالة ويتمتعون بالقدرة المؤثرة، فخلال عملهم فى القرى الريفية على علاج الناس وطرد الأرواح الشريرة أحاط بهم «المسلمون» من ذوى الحاجة من كل حدب وصوب، والسبب هو أن دور هؤلاء المنصرين وتأثيرهم قد حرك أحاسيس الناس الكامنة إضافة إلى تبليغ حيوى للكتاب المقدس.

لقد تم التعبير عن العقيدة النصرانية بطرق كثيرة ومختلفة. ومن واجب الكنيسة أن تعتمد على هذه الطرق المتنوعة وأن تستخدمها في دعوة الأجناس المختلفة وفي العالم الإسلامي لتقديم يسوع المسيح رباً، ويتحرج بعض المنصرين وكذلك إرساليات التنصير الغربية من تبني طريقة الشخص ذي القدرة المؤثرة الذي يعالج الناس كما يفعل المنصرين الباكستانيون. ولكن بدون هذا الأسلوب للتعبير عن الالتزام النصراني فإن الأحاسيس الكامنة ستظل مستترة، وهذا يعنى أكثر من مجرد أسلوب المناشدة والمواجهة بين المسلمين وبين العقيدة النصرانية ذاتها، إن الأمر يتعلق بالأساليب والأشكال التي ينبغي على المنصرين وهيئات التنصير اعتمادها ليصبحوا جزءاً من المجتمع «النصراني» ويعزى نجاح الرسول بولس في العالم الروماني إلى استعداده لتبني الأساليب المعتادة والمقبولة لدى المتنصرين لتوجيه إيمانهم الجديد بالمسيح الوجهة اللازمة، إن اقتباس هندسة «الكنيس» اليهودي لبناء «كنيس نصراني» يمكن أن يكون مثلاً يحتذى به في عملية تنصير المسلمين، وإذا كان الإيمان بالمسيح يعنى الانضمام إلى «مسجد نصراني» أو «جماعة صوفية» نصرانية بدلاً من الانضمام إلى «كنيسة» نصرانية أجنبية، فلربما تكون قرارات التحول إلى النصرانية أكثر عدداً أو أجدى نفعاً مما كانت عليه في الماضي.

(د) خطوات اتخاذ القرارات

يجب أن نعرف من يتخذ القرارات ومن يشارك فيها؟ هل تشارك العائلة كلها في اتخاذها أم كبار السن فقط؟ وإذا التزم رئيس أو كبير العائلة بشيء ما فهل من المحتمل أن يلتزم بقية أفراد العائلة به؟ ماذا سيحدث إذا اتخذت امرأة قراراً وكيف يؤثر هذا القرار على أفراد العائلة ويفتح الباب أمامهم؟ وعندما ندرس المناطق التي حدث فيها تحول نسبي كبير بين المسلمين إلى النصرانية علينا أن نتساءل: هل من الممكن تعميم الطريقة المتبعة وخطوات اتخاذ القرارات على المناطق الأخرى؟ وتجدر الإشارة هنا إلى نسبة التحول الكبير الذي حدث في أندونيسيا في الأعوام ١٩٦٥-١٩٧١م. وفي باكستان عندما تحول (١٨٠) شخصاً إلى النصرانية في منطقة ريفية، فإذا أردنا تنصير المسلمين تبقى طريقة التنصير القائمة حالياً غير ذات جدوى

إذا لم يتم هذا باقتلاعهم كأفراد كما يحدث الآن، بل يجب التأثير على عوائل ومجتمعات بغالبيتها أو بأكملها.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن طريقة تسجيل وإعلان التحول مهمة لأنها تتعلق بمشكلة التكتّم على المتحولين ومشكلة المعمودية، فما الدلالات الاجتماعية والدلالات غير الرسمية التي تصاحب ذلك الالتزام وماذا يعنيه هذا بالنسبة للطريقة التي نرغب أن يتم التعبير بها عن الالتزام بالمسيح.

١- خطوات دعم القرار:

تبين جميع الدراسات أن الفترة التي تعقب اتخاذ القرار هي فترة حاسمة لترسيخ الالتزام ونوعية التغييرات التي تطرأ على شخصية المنتصر وأسلوب حياته، سواء أطلق على ذلك «الدعم الجماعي للأنماط المتغيرة عقلياً أو سلوكياً»^(١) أو «تدعيم الإيمان»^(٢) أو «إقامة روابط مؤثرة بين المتلزمين» أو «تحقيق تفاعل مكثف»^(٣)، إن فترة التقييم والتوجيه والتحليل والإعداد هي فترة حاسمة لإعطاء قوة داخلية وخارجية لمواجهة التجارب الناتجة عن الالتزام الجديد حيث تكون هنالك محاولات معتادة لإثناء الشخص المنتصر عن القرار الذي اتخذ.

ولهذا فإن عملية «المتابعة» التي تستخدم في لغة التنصير مهمة جداً بوصفها نقطة التحول التي يبدأ المرء فيها مرحلة «تثبيت» التزامه.

٢- استنباط مقاييس لاتخاذ القرارات الخاصة بتنصير المسلمين:

عندما تتكون لدينا فكرة بسيطة عما نحتاج إلى معرفته من أجل تنفيذ الخطوات التي تؤدي إلى أن يلتزم الناس بالإيمان بالمسيح يتعين علينا الاستعانة بالتجارب من أجل أساليب خاصة مناسبة لكل حالة حسب الظروف الاجتماعية والدينية^(٤) والثقافية المميزة لها، ويمكن الوصول إلى بعض ذلك عن طريق إعداد دراسات لكل حالة.

(1) Gerlach and Hine 1970: 110.

(2) Griffin 1976: 169-212.

(3) Lofland 1977: 51-60.

(4) Hanna 1975, Miller 1969.

ويعرض هذان المؤلفان طريقة تمت بواسطتها تحويل المسلمين إلى النصرانية، بيد أنه سيستحيل تنصير العالم الإسلامي فيما لو كانت تلك الطريقة هي الطريقة الرئيسية أو الوحيدة التي يجب على الناس سلوكها ليؤمنوا، وهنا يجب علينا أن نقول إنه لم يجر حسب علمي تحليل المعلومات المتوفرة لدينا بدرجة كافية من أجل إيجاد أنماط لعملية اتخاذ القرار على أساس العوامل الخمسة التي تمت مناقشتها أعلاه.

لقد استنبط أينكل، مدير برامج الاتصال بكلية ويتون للدراسات العليا نموذجاً لعملية اتخاذ القرار الروحي يقال إنها تصلح للتطبيق في كل مكان، وهذا النموذج الذي طوره أينكل من خلال أبحاثه في التسويق وسلوك المستهلك هو أكثر محاولة جادة للوصول إلى نموذج ربما يفيد في استراتيجية تنصيرية (الشكل أ). ورغم أن هذا النموذج يبدو معقداً للوهلة الأولى إلا أن مضامينه لا تصعب على الفهم، ويشير النموذج إلى أن كل إنسان يقف في مكان ما عبر سلسلة من الخطوات بالنسبة لعلاقته بالمسيح، وعلى أحد أطراف السلسلة يقف الناس الذين ليست لهم معرفة مباشرة بالكتاب المقدس ولكنهم يعلمون فقط ما اكتشفوه بفطرتهم وضمائرهم والحقائق الموجودة في ثقافتهم التقليدية.

يقول أينكل:

وآخرون يدركون بصورة أكثر أسس الكتاب المقدس (خاصة ما يتعلق بالتوحيد وخطيئة الإنسان وتميز المسيح) ويأتي ترتيب هذه الفئة بين المرحلتين ٣-٧ وهذه الفئة لم تصل إلى المرحلة التي يكون فيها إحساس عميق بل حاجة للتغيير والدافع لفتح عقولهم للتفكير الجدى فى التحول إلى يسوع المسيح والالتزام به مدى الحياة، ويحدث ذلك فقط عندما يكون هنالك إدراك لمعطيات الكتاب المقدس، ويكون هذا الأمر مصحوباً بإحساس المرء بمشاكله الخاصة (المرحلة ٢)، ويوصول الفرد إلى (المرحلة ٢-) يكون أمامه خياران فقط: إما رفض الاستجابة للرسالة، أو التحول إلى النصرانية ليصبح إنساناً جديداً ويلتزم بالإيمان بالمسيح مدى الحياة، وإذا افترضنا حدوث هذا الالتزام حينئذ تبدأ مرحلة النصر النصراني، وتمثل المرحلة الأولى (+١) مرحلة تقييم وتحليل فترة ما بعد اتخاذ القرار، حيث يصاحبها الشك والقلق

إزاء صدق القرار وثباته، ويمكن تقليل درجة الشك بالمتابعة المناسبة التي تؤكد وتشدد على حقائق الكتاب المقدس الأساسية مرة أخرى وعلى معنى الإيمان، كما يتم في الوقت نفسه استيعاب المؤمن الجديد ضمن أتباع يسوع المسيح عن طريق تعميده علانية (+٢)، والسبب في التركيز على هذه المرحلة أنه بدونها قد تضعف بصورة خطيرة عملية النمو الروحي، وعندما يتم التركيز الكافي على هذه المرحلة فإن النمو والنضج سوف يبدآن ويستمران طوال حياة الشخص المنتصر^(١).

إن فوائده النظر إلى عملية القرار بهذا الشكل عديدة، فهذا التصور يرى أن هدف إيصال الكتاب المقدس هو التأثير على الناس ودفعهم إلى الأمام في عملية اتخاذهم لقرار الإيمان بالمسيح، كما يتضمن هذا المقياس على العديد من النقاط التي تتجاوز مرحلة «القرار» أو «المعمودية» وتساعد على تحليل التأثير والذي يحدثه أسلوب الاتصال، فإذا أمكن تحديد المرحلة التي بها فئة معينة في العملية يمكن تفادي البدء في عملية الإقناع قبل شرح الرسالة بشكل يكفل إدراك الناس للكتاب المقدس بصورة مناسبة، ويبين هذا النموذج إن مرحلة ما بعد اتخاذ القرار وأحداثها مهمة من أجل ضمان التزام راسخ ودائم.

وبينما يركز القياس على السؤال التقليدي المتعلق بما يعرفه ويدركه الناس عن الكتاب المقدس، فإن أينكل يصر أيضاً على أنه^(٢) يتوجب فهم واستيعاب ثلاثية أبعاد أخرى لتطوير استراتيجية للاتصالات:

- ١- المواقف: «كيف يشعر الناس المراد تنصيرهم تجاه الموضوعات المطروحة».
- ٢- أنماط الحياة: «ما المحركات والحاجات المهمة التي تؤثر على اعتبار طريقة إيصال الكتاب المقدس منسجمة مع متطلبات الأفراد والجماعات؟».
- ٣- أسلوب اتخاذ القرار: ما الأسلوب الذي يصل الناس عن طريقه إلى اتخاذ قرار بالنسبة للموضوعات المطروحة؟

هل تفيد مثل هذه المعلومات واضع الاستراتيجية في تطوير أساليب وطرقه لتصبح أكثر فعالية؟ وإذا عرفت النسبة المئوية لمجموعة تقع في المرحلة ٦، ٣، ٢،

(1) Engel 1975:5.

(2) Engel 1977:31.

فهل يساعد ذلك المنصر على أن يجعل عمله أكثر تحديداً وانسجاماً في اتصاله بهذه المجموعة بحيث يستطيع الوصول بها إلى مرحلة الإيمان الحتمى بالمسيح؟ إنى أرى أنه يمكن بصورة عامة أن يكون الرد بالإيجاب، إلا أنها ربما تحتاج إلى تعديل كبير لتناسب مع عملية تنصير المسلمين.

(أ) هل أن المقياس وصفى يعرض الواقع أم توجيهى يقترح الحلول؟ يبدو أن المقياس يظهر أن العملية يمكن إدراكها، وهنالك «حقائق» يجب معرفتها والإيمان بها كى تتم عملية التخليص من الخطيئة، والتحول ينظر إليه على أساس المعلومات التى يجب إيصالها لتطوير «الوعى» بالكتاب المقدس، أما المتابعة فهى لتأكيد الحقائق وتطوير درجة الفهم والإدراك، والسؤال هنا: «هل يفترض هذا النموذج وجود حد أدنى من المعرفة الضرورية كى يكون التنصير صحيحاً؟ وما طبيعة تلك المعرفة وكيف يمكن التعبير عنها لتناسب مع مختلف البيئات والأوساط الإسلامية؟ إن التحول إلى النصرانية فى اعتقادى هو عملية ذات أبعاد وجوانب متعددة، كما أن هنالك على الأقل بعض الطرق الرئيسية الأخرى التى يؤمن الناس من خلالها بالمسيح والتى لم يشملها النموذج، وسوف أركز على طريقة مستمدة ومعتمدة أساساً على التجربة خلافاً لطريقة الإدراك المعتمدة على الحقيقة، إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم من يعتقدون ما يطلق عليه الإسلام الشعبى (أو إسلام العامة)، وهم أرواحيون يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن ويعرفون القليل جداً عن الإسلام الأصيل، كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاون التى يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها، والباب الذى يمكن من خلاله التأثير على هؤلاء وتنصيرهم هو أن يقوم شخص بتقديم منافع دنيوية لهم مثل ممارسة العلاج الروحى وطرده الأرواح الشريرة، لقد سمعت أكثر من قصة مؤثرة عن تنصير أعداد كبيرة من المسلمين أكثر مما تم بواسطة طريقة الوعظ وعلى يدى قس قبضى لديه القدرة على العلاج الروحى وطرده الأرواح الشريرة، إن النقطة المهمة فى هذا التحول بالنسبة للمسلمين هى «البركة» والقوى التى يظهرها المنصر، أما فهم حقائق الكتاب المقدس الأساسية فهى مرحلة تأتى بعد أن يواجهه المسيح بالأدلة القاطعة

على أنه رب عظيم، فكل الذى يعلمه الناس ساعة التحول هو أن المسيح قوى بما فيه الكفاية لحل المشكلة.

(ب) هل يحدد الخطوات الحاسمة التى يتخذها المسلم نحو القرار الروحى؟ فى تصورى أن المشكلة الرئيسية التى «تعيق» تجاوب المسلمين واستماعهم للدعوة هى سوء فهم النصرانية وليست الجهل بها، وأفضل ما يمكن أن نفعله هو أخذ المؤشرات المضمنة فى النموذج واستنباط مقياس آخر يناسب التجربة الإسلامية ويقترح تصوراً للمراحل المختلفة التى يبرون بها عادة وأن يكون من ضمنها مرحلة إزالة سوء الفهم.

الخطوة التالية

يجب أن نعرف الطريقة الفعلية التى يتخذ بها المسلم قراراً فيما يخص علاقته بيسوع المسيح، وإذا عرفنا تلك الطريقة وتم تنظيمها وتعميمها لاستنباط مقياس عام يشابه عملية القرار الروحى التى أشار إليها أينكل فإن هذا يوفر لنا مفاتيح عديدة لعمل أكثر فعالية فى إيصال رسالة الكتاب المقدس، وإذا اكتشفنا المدخل الذى يستخدمه الروح القدس لجعل المسلمين يؤمنون بالمسيح ستمكن بوعى أكثر من جعل استراتيجيتنا وجهودنا تطابق نشاطات الروح القدس، ومن ثم نستطيع أن نخاطب المسلمين بالمعرفة والتجارب التى هم فى حاجة إليها، وفقاً للمرحلة التى هم عليها فى عملية اتخاذ القرار، وإنى لعلى ثقة من إمكانية تطوير «مقياس» من ذلك النوع، ولكننى أورد ذلك بشكل غير نهائى وغير حاسم، وقد قصدت بعلامة الاستفهام فى نهاية عنوان هذا البحث الدعوة لإرسال التعليقات والاقتراحات حول هذا التأكيد.

نموذج (أ)

عملية اتخاذ القرار الروحي

الاستجابة	دور الرب دور المنتصر
٨- إدراك وجود كائن أعظم ولكن لا توجد معرفة كافية بالكتاب المقدس	إلهام عام
٧- إدراك أولى بالكتاب المقدس ٦- إدراك مبادئ الكتاب المقدس الأساسية. ٥- فهم واستيعاب معاني الكتاب المقدس. ٤- شعور إيجابي تجاه الكتاب المقدس. ٣- تشخيص المشاكل الشخصية. ٢- قرار بالتحرك. ١- توبة وإيمان بالمسيح.	إبلاغ الدعوة اعتقاد إقناع
مخلوق جديد	تجدد
+ ١ تحليل مرحلة ما بعد اتخاذ القرار. + ٢ اندماج مع كتلة المؤمنين. + ٣ تطور المظاهر والسلوك. اتصال بالرب تكاثر داخلياً (هدايا...إلخ) خارجياً (دعوة، عمل) (اجتماعي...إلخ) الأبدية.	تطهير من الخطيئة متابعة رعاية

James F.Engel, Copyright, 1975 by Zondervan Publishing House. reprint-
ed by permission.

خلاصة تعقيبات المشاركين

أشار الكثيرون إلى عدم وجود علامة استفهام في عنوان البحث، ويقر المحرر أن الكاتب قد وضع العلامة ويأسف لسقوطها سهوا أثناء الطباعة.

يمكن معرفة آراء المشاركين المؤيدة أو المعارضة لإمكانية الاستفادة من مقياس أينكل للعمل بين المسلمين عن طريق تحديد آرائهم حول طرق التسويق في الغرب، وفيما إذا كان الروح القدس يستطيع العمل بنفس الأسلوب، ويرى البعض أن هناك «اعتراض ثابت على تطبيق طرق التسويق في مجال التنصير»، وسبب هذا الاعتراض أن مقياس أينكل نتاج لثقافة لها صلة وثيقة بنظام التسويق في الغرب، بينما توجد مناطق كثيرة في العالم تمارس نظام المقايضة وليس لديها أى استعداد لقبول المنهج الغربى، وإلى جانب ذلك فإن مقياس أينكل يفترض وجود تدرج منطقي في عملية اتخاذ القرار، وقد تمت الإشارة إلى أن دور الرؤى وتصارع القوى والعلاج إضافة إلى الرغبة في اكتشاف عالم جديد تختلط بصفة عامة مع عملية اتخاذ القرار بأسرها، هذا بالإضافة إلى وجود سلسلة طويلة من القرارات لم يشملها مقياس أينكل.

ورغم هذا التحفظ فقد تحمس الكثير من القراء لإجراء المزيد من الدراسة حول الموضوع وطالب الكثير منهم الكتاب بتطوير مقياس محدد خاص بالمسلمين الذين يحتمل تنصرهم تمثل الجانب الحاسم في اتخاذ قرار التحول، واستناداً إلى ذلك اقترحوا إدخال التعديلات التالية على الجزء الأعلى من المقياس والتي تناسب العمل بين المسلمين.

١٠- إدراك وجود كائن أعظم ولكن لا توجد معرفة كافية بالكتاب المقدس.

٩- إقامة صلة إيجابية مع المنصر.

٨- إعادة دراسة ما جاء في القرآن عن يسوع وتوضيح سوء الفهم فيه.

٧- إدراك أولى بالكتاب المقدس .

٦- إدراك أولى بمبادئ الكتاب المقدس .

٥- فهم واستيعاب معانى الكتاب المقدس وازداد التأكيد على أهمية دور المنصر عندما طرح أحد المتحولين المسلمين تجربته استناداً إلى مقياس أينكل موضحاً الدور الذى لعبه المنصر فى كل خطوة منها .

وانتقد بعضهم رأى الكاتب، والذى يشير إلى أن الاختلافات اللاهوتية هي انعكاس للاختلافات الثقافية، وشعروا بأن فى هذا تقليل واستخفاف باهتماماتنا بالحقيقة، وكان هنالك نقد مشابه لاقتراح فريزر «القائم على التفريق» بين النموذج المعتمد على التجربة وبين طريقة المعرفة والإدراك، ولقد أكد القراء على أنه لا يمكن التقليل من دور الحقيقة أو من دور التجربة .

وفيما يتعلق بأراء الكاتب عن التحركات فى صفوف الناس والمجموعات، عبر بعض القراء عن قلقهم حيال الأدلة التى تشير إلى أن الأفراد الهامشيين المجتمع هم الذين يكون لديهم استعداداً للإيمان بالنصرانية، إن الناس الهامشيين وهم فى الغالب المنحرفون سلوكياً لا يمكن أن يكونوا قادة قادرين على التأثير على مجموعة لتبدأ التفكير بالمسيح، وفى نفس الوقت اتفق الجميع على أن سياسة التنصير القائمة على «أسلوب اقتلاع» قلة من الأفراد من هنا وهناك قد برهننت على عدم جدواها ويجب العمل على اقتلاع «مجموعة كاملة فى وقت واحد» .

والنقطة الأخيرة التى أقلقنت المعقبين هى أن تطبيق هذا المقياس فى مواقع التنصير ربما يتطلب نظاماً ضخماً لجمع المعلومات يجب أن يقوم بالإشراف عليه كادر مدرب من الموظفين، وهذه النظرة صحيحة لأن المقياس يجب أن يطور بالصورة التى تجعله مناسباً لكل مجموعة منفردة من المسلمين وليس فقط المسلمين بصفة عامة .

رد الكاتب على تعقيبات المشاركين

١- لم أعط تصوراً شخصياً لمقياس معين إيماناً منى بأن مثل هذا المقياس يجب أن يستمد من التجربة الحقيقية في محيط ثقافى محدد، كما أن تحليل عمليات تحول حقيقية يجب أن تقود إلى اكتشاف أمثلة ونماذج لمثل هذا المقياس، وإنى أتفق مع الكثيرين ممن أرسلوا تعقيباتهم على أن النقطة الرئيسية فى المواجهة كانت سوء فهم المسلمين للنصارى وللعقيدة النصرانية.

٢- أما بالنسبة لأولئك الذى شعروا بعدم وجود «أمثلة نموذجية» وبذلك أزالوا إمكانية وجود مثل هذا المقياس، فإننى أستطيع فقط أن أقول إن الباحثين يطورون الآن مثل هذه المقاييس للتحول فى بيئات أخرى، فهذا ممكن وإن كان صعباً، وأعتقد أن معظمنا لديه نماذج غير رسمية عن اتخاذ القرارات وهم يستعملونها فى مجال التنصير، ولكن وجود نموذج واضح يمكننا على الأقل من فهم العمل الذى نقوم به ويمكننا من تكييف أنماط الاتصال وفقاً للكيفية التى نعتقد أن الناس يصلون بها إلى اتخاذ القرارات.

٣- يجب ألا نخطئ فى فهم وظيفة ودور أى واحد من مثل هذه المقاييس، إن الأمر ليس متعلقاً «بكيمياء روحية جديدة» أو «عصا سحرية» يتمكن بها المنصر من تحويل الفشل إلى نجاح باهر، إن المقياس هو مجرد وسيلة تساعدنا على التفكير السليم والدقيق، وحتى لو توفرت لدينا المعلومات الكافية التى يمكن أن نبني عليها المقياس (وهذا مستحيل) واستطعنا وضع الناس على المقياس بكل دقة (ولن نستطيع أن نفعل ذلك) فإننا لن نستغنى عن الروح القدس بل تظل حاجتنا إليه دائمة لكى يوقد فينا الرغبة الأكيدة فى العمل على تنصير المسلمين ويملاً نفوسنا بالمحبة لهم والاحترام لثقافتهم، وسواء وجد مقياس أم يوجد فإن حاجتنا للصلاة والصوم ستظل قائمة، ولكن حماسنا هذه واهتمامنا هذا يجب أن يكونا هادفين ولا بدّ أن ينضجا بواسطة الفهم الصحيح، فنحن نحتاج إلى أن نفهم أنفسنا ونفهم الناس الذين نحاول تنصيرهم والأنماط المتعددة التى يتبعونها فى مرحلة اتخاذ القرار.

لقد حان الوقت لتجاوز مرحلة الاحتماء بعبارات التقوى والورع التي تحمينا من مواجهة فشلنا في الاستفادة من التجارب ومن نفاذ البصيرة التي يمنحنا إياها الرب، إن الحماسة التي تفتقر إلى المعرفة الصحيحة والفهم الصحيح تشبه إلى حد بعيد محاولة تدفئة بيت بارد بإشعال النار في سقفه.

٤- وبطريقة مشابهة، فإن استخدام نظرية الاتصال أو مبادئ الإدارة الناجحة يعتبر أمراً مشروعاً ومعقولاً وروحياً، وليس سبب قوى في الوقت الحاضر من التخوف من أننا شرعنا في جعل العملية «تصيراً تكنولوجياً»، ولو كنا مزارعين نصارى، فإننا لن نتظاهر بحاجتنا للجهل والتخلف لكي يقوم الرب بواجبة نحونا ويعطينا الزيادة في المحصول، وبوصفنا مسؤولين عن التعبير عن كلمة الرب وتبليغها فإننا لا نقول إن علم اللغة يمثل عقبة كأداء في طريق الروح القدس، وكبازرين للحبوب والتي هي كلمة الرب، فإننا نخدع أنفسنا كثيراً لو اعتقدنا أن المحصول سيكون أكثر على الرغم من أننا نرفض تعلم طرق جديدة في كيفية بذره وتحليل التربة واستخدام الماء والسماد أو حصاده، إن القضية ليست «مناورة» لإدخال الناس في مملكة الرب وإنما هي تعامل مع طبيعة الأشياء ومع الناس ومع الثقافة، ونحن نحاول أن نكون خدماً للكتاب المقدس الذي نود أن نزرعه.

٥- لم يكن البعض مرتاحاً لأنهم شعروا بأنى أؤيد جعل العقيدة النصرانية أكثر «جاذبية»، إنى أقر بهذا، فأنا لا أعتقد أن الناس يمكن أن يتجاوزوا مع الدعوة إذا بدا المسيح لهم «أجنبياً عنهم» أو لا علاقة له باحتياجاتهم الحقيقية أو أنه يناشد الناس بأن يخونوا أقاربهم أو ينبذوا ثقافتهم، إن المسيح ليس كذلك، إننا نحن الذين جعلناه يبدو هكذا بواسطة العديد من أساليبنا.

٦- أبدى البعض شعورهم إلى الحاجة للتأكيد بأن كلمة الرب قوية وقادرة على التعبير عن سخطها وليس فقط على ملائمة الحاجة القائمة أصلاً. وإننى أتفق مع هذه النظرة عندما تعرض كلمة الرب بطريقة حساسة وبأساليب ثقافية مناسبة، ولكننا لا نستطيع أن نتخذ من كلمة الرب «صنماً» ونفترض أن الصيغة التي تجدهوى في نفوسنا لا تحتاج إلى إعادة نظر جذرية وتركيز

على الاحتياجات المحسوسة التي تختلف عن احتياجاتنا، إن الرب لقادر حتى على أن يجعل الحمار يقول كلمته بطريقة فعالة (كما اكتشف بالام)، ولكن حتى الكلمة والتي قالها ذلك الحمار الأخرس كانت قد كسفت وفقاً لبيئة محددة مع وجود حاجة محددة، وأعتقد أن النمط الذي نراه في الكتاب المقدس ومن خلال توسع الكنيسة يشير إلى السعى الدائم للكشف مجدداً عن كيفية ارتباط الأخبار السارة للكتاب المقدس بالاستعدادات التي تختلف اختلافاً جذرياً من مكان لآخر. وكيف يمكن التعبير عنها في أطر ثقافية مختلفة بصورة جذرية وكيف يمكن أن تنطلق من القيود التي نحاول تكيلها بها أملاً في أن يصبح كتابنا المقدس بدلاً من كونها ذلك الشيء المخيف القادر على تحرير الناس.

...

المراجع

Beckford, James

1975 **The Trumpet of Prophecy: A Study of Jehovah's witnesses.**

Oxford: Basil Blackwell.

Carrier, Herve

1965 **The Sociology of Religious Belonging.** New- York: Herder and Herger.

Engel, James, D.Kollat and R. Blackwell

1973 **Consumer Behavior.** Revised edition. New-York: Holt, Rhinehart and Winston.

Engel, James and Wilpert Norton

1975 **What's Gone Wrong with the Harvest?** Grand Rapids: Zondervan. Engel, James

1975 "World evangelization", **Spectrum**, Winter.

1977 **How Can I Get Them to Listen?** Grand Rapids: Zondervan.

Festinger, Leon

1956 **When Prophecy Fails.** New- York: Harper. Geertz, Clifford.

1968 **Islam Observed.** Chicago: University of Chicago Press.

Gerlach, Luther and Virginia Hine.

1970 **People, power, Change.** Indianapolis: Bobbs-Merrill.

Gilsenan, Michael

1973 **Saint and Sufi in Modern Egypt.** New-York: Oxford

University Press.

Griffin, Em

1976 **The Mind Changers.** Wheaton: Tyndale.

Hanna, Mark

1975 **The True path. Seven Muslims Make Their Greatest Discovery.** Colorado Springs: International Doorways Publishers.

Hoffer, Eric

1951 **The True Believer.** New- York: New American Library.

Janis, Irving and Leon Mann

1977 **Decision Making.** New- York: Free Press.

Lofland, John

1977 **Doomsday Cult.** Enlarged edition. New- York: Irvington Publications.

Miller, William

1969 **Ten Muslims who Met Christ.** Grand Rapids. Eerdmans.

Stott, John R.W.

1975 **Christian Mission in the Modern World.** Downers Grove: Intervarsity Press.

Tippett, Alan

1977 "Conversion as a Dynamic Process in Christian Mission,"
Missiology 2:203 - 221.

Toch, Hans

1965 **Social Psychology of Social Movements.** Indianapolis: Bobbs-Merrill.

Willis, Avery T.

1977 **Indonesian Revival.** South Pasadena; William Carey Library.

